رسائل تلّغرافيّة

(١٣)

﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾

بَلَّغَهُ

ابن الكيال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد للَّه: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ [الملك: ٢]، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [سبأ: ١]، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ۝١ قَيِّمًا﴾ [الكهف: ١-٢]، الحمد للَّه الذي: ﴿أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١]، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ﴾ [الأعراف: ٤٣]، ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ﴾ [النمل: ٥٩]، ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٣٤]، الحمد للَّه الذي: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الفتح: ٢٩]، ﷺ، ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ۗ﴾ [الإسراء: ١١١]، فاللَّه أكبر اللَّه أكبر اللَّه أكبر، اللَّه أكبر، لا إله إلا اللَّه، اللَّه أكبر اللَّه أكبر وللَّه الحمد، ثم أمّا بعد:

فقد روىٰ الشيخان (البخاري (٧٠٦٢)، ومسلم (٢٦٧٢) في «صحيحيهما»: أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**إنّ بين يدي الساعة لأيامًا، يَنْزِلُ فيها الجهلُ، ويُرْفَعُ فيها العلمُ، ويكثرُ فيها الهرجُ، والهرجُ القتلُ**»، وأحوال الناس في القتل كثيرة، فبين قتيلٍ بالجهل، وقتيلٍ بالهوىٰ، وقتيلٍ بالشهوة، وقتيل بالفواحش، وقتيل بالذنوب، وقتيل بالمال، وقتيل بالمَنْصِب، وقتيل بالشهرة، وصريع بالحقد، وصريع بالكِبْر، وصريع بالفخر، وصريع بالحَسَد، وصريع بالنفاق، وصريع

بالغُلُوّ، وصريع بالنساء، وصريع بالأولاد والزوجة، وصريع بالدنيا، وصريع بالفقر، وقتيل بالمرض، وقتيل بالغم والغيظ، وصريع بالكَبْت، وصريع بالظلم، وقتيل بالحَزَنِ والهم، وقتيل بالديون، وقتيل بالتشريد والتشْتِيت، وقتيل بالتفجير والإرهاب، وقتلىٰ بالمدافع والطائرات والهدم والتخريب ورصاص المجرمين، وصريع بثِقل الحق، وإنكار المنكر، وقتيل بالميوعة، وصريع بالنفس والذات، وهالكٍ بالغش والخيانة والخداع، وصريع بالطاعون، ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١١-١١٢].

وقال سبحانه: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧]، وقال اللَّه تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٧-٥٨]، وقال تعالىٰ: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [البقرة: ٢٦-٢٧]، وقال: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [المائدة: ٧].

- **ثم أما بعد:**

فهذه إفاقةٌ في زمن طاعون، ويقْظةٌ في قلب مغبون، وطَرْقَة من مشجون، فها نحن اليوم كما قال رسول اللَّه ﷺ بين نزول الجهلِ العام، ورفعِ العلم، وكثرةِ الذبحِ

والهرجِ والقتلِ، وهي نتائجُ للجهل ورفع العلم، وأسبابٌ لحلول الوباءِ والطاعون الذي أحاط اليومَ بالناسِ أجمعين، وهلك الحَرْثُ والنَّسلُ، وتوقفت الجُمُعَاتُ والجماعاتُ، والأعمالُ والصناعاتُ والتجاراتُ، وخَرِبَتِ الدنيا وتوقَّفتِ الحياةُ، وأحاط الخوفُ والذعرُ والرعبُ أنحاء المعمورة، ثم حان وقتُ التوبة، والرجوعُ إلىٰ اللَّه، والاستقامةُ علىٰ الصراط الحقِّ، والمنهجِ الصحيحِ القويمِ، والاستعانةُ باللَّهِ والتوكلُ علىٰ اللَّه بعد صحيح الإيمان، القائِم علىٰ الكتابِ والسنة، علىٰ مثل ما كان عليه النبيّ وأصحابه، وكثرةُ الأعمال الصالحة، وهجرُ المعاصي والذنوبِ والفواحشِ ما ظهر منها وما بطن، والاستعدادُ للموت وكثرةُ ذِكْرِه، والاشتغالُ به ليلَ نهار، وكراهيةُ الدنيا والغرورِ، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ۝٥ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٥-٦]، وقال سبحانه: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٦٠ وَأَنِ ٱعْبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝٦١ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًاۖ أَفَلَمْ تَكُونُواْ تَعْقِلُونَ﴾؟ [يس: ٦٠-٦٢]، ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمْۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٢٣].

● ومنهجُ الحق، هو منهج أهل السنة والجماعة، الذي اجتمع عليه الصالحون وهو: أن الإيمان قول وعمل ونية واتباع السنة، وبهذا تستقيم الدنيا والدين، قال اللَّه تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢-٣]، وهذه الآية بَيَّنَ اللَّه فيها غضبه علىٰ من وَصَفَ، والمقت: أشد البغض.

وقال سبحانه: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الصف: ٥]، وفي هذه الآية الزجر الشديد والوعيد العظيم الجلل الرهيب.

قال ابن كثير في «تفسيره» (٨/ ٧٠):

«أي: فلما عدلوا ومالوا عن اتباع الحق مع علمهم به، أزاغ اللَّه قلوبهم عن الهُدَىٰ وأسكنها الشكّ والحيرة والخذلان، كما قال تعالىٰ: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام: ١١٠]، وقال: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]، ولهذا قال اللَّه تعالىٰ في هذه الآية: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾». اهـ

قلت: وهذا مصير من خالف الحق، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

وقال القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ٦٠):

«قال إبراهيم النخعي: ثلاث آيات منعتني أن أقصّ علىٰ الناس: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤]، ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَـٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ﴾ [هود: ٨٨]، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾». اهـ، ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١].

وعليه، فلا مناص ولا ملجأ ولا نجاة إلّا بالرجوع إلىٰ اللَّه ورسوله وما كان عليه السلف الصالحون، والسَّيْرُ قُدُمًا بنصبٍ وجدٍّ واجتهاد وخوف من اللَّه وخشية من يوم الرحيل. قال اللَّه تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧].

● وقال ﷻ: ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٢].

قال ابن كثير في «تفسيره» (٨/ ١٣٤):

«أي: وتفهم هذه النعمةَ وتذكُرها أذنٌ واعيةٌ، قال ابن عباس: حافظة سامعة، وقال قتادة: ﴿أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ عقلت عن اللَّه فانتفعت بما سمعت من كتاب اللَّه، قال

الضحاك: سمعت أذن ووعت.

أي: من له سمع صحيح وعقل راجح، وهذا عام فيمن فَهِمَ وَوَعَىٰ». اهـ

قلت: فإذا كان ذلك كذلك، وتقرر عندك ما مضىٰ بيانه مفصّلًا والمراد منه، فاعلم أنَّ:

- **مَوْتَ الفجأةِ أخذةُ أَسِفٍ:**

فقد روىٰ أبو داود في «سننه» (٣١٠٨) في كتاب الجنائز، باب موت الفجأة، ومثله البيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٣/ ٣٧٨-٣٧٩) من حديث عبيد بن خالد السُّلمي -رجل من أصحاب النبي ﷺ- قال: «موت الفجأة أخذةُ أسِف» بالكسر، «أسَف» بفتح السين، قال أبو داود: «قال مرّة عن النبي ﷺ، ثم قال مرَّة: عن عبيد».

قال أبو الطيب في «عون المعبود» (٦/ ٢٢):

««قال مَرّة» أي: مرفوعًا إلىٰ النبي ﷺ، «ثم قال مرّة» أخرىٰ أي: موقوفًا علىٰ الصحابي. قال الحافظ المنذري: وقد روي هذا الحديث عن عبد اللَّه بن مسعود وأنس بن مالك وأبي هريرة وعائشة، وفي كل منها مقال، وقال الأزدي: ولهذا الحديث طرق عن رسول اللَّه ﷺ. هذا آخر كلامه.

وحديث عبيد هذا أخرجه أبو داود ورجال إسناده ثقات، والوقف فيه لا يؤثر، فإن مثله لا يؤخذ بالرَّأي، وكيف؟، وقد أسنده مرّة الراوي، واللَّه ﷻ أعلم». انتهىٰ كلام المنذري.

وقال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» عند حديث البخاري **(١٣٨٨)**: «ورجاله ثقات إلا أن راويه رفعه مرّة ووقفه أخرىٰ». اهـ، ورواه البيهقي كما مرّ موقوفًا ومرفوعًا، فالحديث متّصل ثابت بإذن اللَّه تعالىٰ.

ثم قال ابن حجر في «الفتح»:

«وقوله: «أسَف» أي: غضب وزنًا ومعنىٰ، وروي بوزن فاعل -«أسِف»- أي: غضبان.

ولأحمد من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ مرّ بجدارٍ مائلٍ فأسرع وقال: «أكره موت الفوات».

قال ابن بطال: وكان ذلك -واللَّه أعلم- لما في موت الفجأة من خوف حرمان الوصية وترك الاستعداد للمعاد بالتوبة وغيرها من الأعمال الصالحة.

وقد نقل عن أحمد وبعض الشافعية كراهة موت الفجاءة». اهـ

قال أبو الطيّب في «عون المعبود» (٦/ ٢٢):

«وقال علي القاري: قالوا: روي في الحديث الأسف بسكر السين وفتحها، فالكسر: الغضبان، والفتح: الغضب، أي: موت الفجأة أثر من آثار غضب اللَّه؛ فلا يتركه ليستعدّ لمعاده بالتوبة وإعداد الآخرة، ولم يمرضه ليكون كفّارة لذنوبه. انتهىٰ

وقال الخطابي: الأسف الغضبان، وآسفونا أغضبونا، ومن هذا قوله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزخرف: ٥٥]، ومعناه -واللَّه أعلم- أنهم فعلوا ما يوجب الغضب عليهم والانتقام منهم». اهـ

قلت: وفي رواية للحديث: «**موت الفجأة راحةٌ للمؤمن وأخذةٌ للفاجر**» يعني: لمن أعرض عن اللَّه ورسوله ولم يبال بالسمع والطاعة ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨]، وفي بداية هذه الآية قال تعالىٰ لرسول اللَّه ﷺ ولمن سار علىٰ هديه إلىٰ قيام الساعة: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

● **مستريح ومستراح منه:**

وروىٰ البخاري في «صحيحه» (٦٥١٢)، ومسلم (٩٥٠) ما جاء في مستريح ومستراح منه، من حديث أبي قتادة بن رِبْعِيّ الأنصاري، أنه كان يحدّث أن رسول اللَّه ﷺ مُرَّ عليه بجنازة فقال: «**مُسْتَرِيحٌ ومُسْتَرَاحٌ منه**» قالوا: يا رسول اللَّه، ما مستريح ومُستراح منه؟ قال: «**العبد المؤمن يستريح من نصب الدنيا وأذاها، إلىٰ رحمة اللَّه، والعبد الفاجر يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب**».

قلت: والهالك المغبون من كان مُستراحًا منه، وهو يظن أنه مُسْتريح!!!

ففتّش عن خبايا نفسك يا فطين، ولا تزكّ نفسك واتهمها بالسوء ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ﴾ [يوسف: ٥٣].

قال النووي في «شرح مسلم» (٧/ ٢٠):

«معنىٰ الحديث: أنّ الموتىٰ قسمان: مُستريح ومُستراح منه، ونصب الدنيا: تعبُها، وأما استراحة العباد من الفاجر معناه: اندفاع أذاه عنهم، وأذاه يكون من وجوه: منها: ظلمه لهم، ومنها: ارتكابه للمنكرات، فإن أنكروها قاسوا مشقة من ذلك، ربَّما نالهم ضرره، وإن سكتوا عنه أثِموا، واستراحة الدواب منه كذلك؛ لأنه يؤذيها ويضربها ويُحَمِّلها ما لا تطيقه، ويجيعها في بعض الأوقات وغير ذلك، واستراحة البلاد والشجر فقيل: لأنها تمنع القطر -المطر- بمصيبته؛ لأنه يغصبها ويمنعها حقها من الشرب وغيره». اهـ

فإذا كان ذلك كذلك فإن العاقل المؤمن لا يضره ما كان الناس عليه من البلاء أو الوباء أو الطاعون أو الكورونا، أو أسباب الموت باختلاف أشكالها؛ فإن الموت واحد ولو تعددت الأسباب، فلا يكون علىٰ المسلم إلا التحصّن الإيماني بالسمع والطاعة للَّه وللرسول: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٢]، فإذا

مات المؤمن علىٰ طاعة فقد نجا، ولا تكون النجاة إلا بالموت علىٰ الاستقامة علىٰ الصراط المستقيم علىٰ مثل ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، فلا يضرنك بعد ذلك شيء، فإن أمر المؤمن كله خير، إذا كان دائمًا ذاكرًا للموت، فأكثروا من ذكر هاذم اللذات.

فمسْتريح ومُستراح، وموفَّق رشيد وفلاح، ومخذول منكوس ومباح، وأبيٌّ محروم من الصلاح، كل الناس يغدو، فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها، واثنان بين خُسْرَانٍ ونجاحٍ.

وعليه، فإن لم يرجع العباد إلىٰ اللَّه، فمتىٰ وبم يرجع الشاردون؟!

قال ابن الأثير في «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٢/ ٤١٠):

«شرد: وفيه: «**والذي نفسي بيده لتدخلن الجنة أجمعون إلا من أبىٰ وشرد علىٰ اللَّه شراد البعير**» قيل: يا رسول اللَّه ومن يأبىٰ أن يدخل الجنة؟ قال: «**من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني دخل النار**» أي: خرج عن طاعته وفارق الجماعة». اهـ

قلت: والحديث عند البخاري في «صحيحه» (**٧٢٨٠**) بلفظ مقارب.

لقد جاءنا الموت اليوم ورأيناه في المسلم وغير المسلم ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٩-١٠٠]، ﴿وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠]، ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق: ١٩].

انتهت الرسالة

بلَّغه

ابن الكيَّال